# آداب العمل الجماعي وشروطه

## إعداد:مجموعة من الدعاة في دمشق

-١-

### [الاتجاه الفردي والجماعي في فطرة الإنسان]

١- (من الخطوط المزدوجة في كيان الإنسان: هذان الخطان المرتبطان المتناقضان: إحساس الإنسان بفرديَّته، وإحساسه بالميل إلى الاجتماع بالآخرين والحياة معهم كواحد منهم، وهذه الظاهرة ذات أثر بالغ في الحياة البشرية؛ لأنَّ كيانَ المجتمع كلّه قائمٌ على مُحاولة التوفيق بين هذين الخطين المتناقضين في الظاهر، ومدى النجاح في عمليَّة التوفيق.

وفي الوقت الذي اضطربت أكثر النظم والفلسفات بين هذه النزعة وتلك فوسَّع بعضها دائرة الفرديَّة حتى وصلت إلى الأنانيَّة المرذولة، وتفكيك روابط المجتمع وتشتيت طاقاته، ووسَّع بعضُها الآخر الدائرة الجماعيَّة حتى قضت على كيان الفرد، وكادت أن تلغي وجودَه إذ اعتبرته ذَرَّة ضئيلة تافهة لا يستمدُّ كيانه إلا بوصفه فرداً في القطيع!.

### [موازنة الإسلام بين النظرة الفرديَّة والجماعيَّة]

إنَّ الإسلام يُوفِّق بقدرٍ ما، في طاقة البشر بين هاتين النزعتين اللتين اعتبرهما أصليتين في النفس الإنسانيَّة، على ما يبدو بينهما من التناقض في الظاهر؛ لأن التناقض الذي يظهر لمن ينظر إلى الأمور من السطح، ولا ينفذ من ورائها إلى أعماق الفطرة، أو التناقض الذي يحدث في الباطن أو الأعماق بسبب زيادة النسبة المقرَّرة أو اللازمة لكل واحدة من هاتين النزعتين، فتنحرف إحداهما عن مسارها وتعتدي على مسار الأخرى وتشدُّها إليها، أما حين يأخذ كلٌّ منهما مَدَارَه الصحيح فلن يحدثَ التنافرُ بين الفرد والجماعة أو يحدث الشقاق!.

والإسلامُ دين الفطرة، وهذه هي فطرة الإنسان: فرد داخل في المجموع: أصيل الفردية، أصيل في الميل للمجموع، والإسلام يعالج كلتا النزعتين فيغذيهما معاً، ويجعلهما مُتساندتين بدلاً من أن تَكونا مُتنازعتين) [1].

-٢-

[عيش المسلم في مجتمع جاهلي وتبعات ذلك]

٢ – والأمر الذي لا خِلاف عليه على كل حال بين جميع الأنظمة والفلسفات أنَّ الحياة الاجتماعيَّة أو الحياة في جماعة أمر لازم للإنسان، وأنه – أي هذا الإنسان – يتأثر ويخضع أيضاً للمظاهر الاجتماعيَّة السائدة، أو التي تحكم مُجتمعاً من المجتمعات. ومعنى ذلك أنَّ الإنسان المسلم في هذا العصر الذي يعيش في مُجتمعات جاهليَّة، أو مُجتمعات لا يمكن وصفها بالإسلاميَّة على كل حال؛ لأنَّها لا تدين بحكم الله تعالى، ولا تَخضع لشرعه، ولا تُراعي منهجَ الإسلام في العقيدة والتربية والاجتماع والسياسة والاقتصاد، ومن ثَمَّ فإنَّ هذه المجتمعات تحكمها وتسودُ فيها قيَم واعتبارات وتَصوُّرات وظواهر اجتماعيَّة جاهليَّة، أو غير إسلاميَّة، معنى ذلك: أنَّ هذا الإنسان الفرد المسلم، الذي يعلم من الفطرة الإسلامية أنَّ الفرديَّة والجماعيَّة خطان مُتلازمان أو ضروريان في كيانه، سيجد نفسه بعد أن يأخذها بأسباب الإعداد الفردي، والتأهيل الإسلامي الخاص في هذا الجانب، سيجد نفسه بعد ذلك خاضعاً في الجانب الاجتماعي إلى مفاهيم وضرورات المجتمع الجاهلي من حوله، وهو لن يستطيع التَّخلُّص أو الفكاك من ضغط هذه المفاهيم والضرورات ما لم يَعِشْ في مُجتمع مُسلم أو جماعة مُسلمة تعيش – كجماعة – في هذه المفاهيم والتصورات.

هذا بالإضافة إلى أنَّ طبيعة الإسلام ذاتها تَقْتضي وجود جماعة مُتكافلة تَقوم بالتكاليف الجماعيَّة، كما أنَّ التَّصوُّر الإسلامي والفضائل الإسلاميَّة تحتاج إلى وسط تحيا به وتنمو، وإذا كان من البديهي أنَّ الغرض لكل العاملين في الحقل الإسلامي إيجاد المجتمع المسلم، واستئناف حياة إسلامية صحيحة فإنَّ مما لا شك فيه أنَّ الأداة الموصلة إلى تثبيت المفاهيم الإسلامية عند هؤلاء العاملين، وتنشئة الأفراد عليها

---

(١) الفردية والجماعية، في (منهج التربية الإسلامية) للأستاذ محمد قطب.

هي المجتمع الإسلامي نفسه، أو الجماعة الإسلامية التي تسعى إلى إقامته، وتمهّد بعملها الجماعي لقيامه.

-٣-

[تهيئة الفرد للعمل الجماعي ثقافة وفلسفة]

٣ – ونحن إذا نظرنا اليوم إلى هذا الجانب الهام من جوانب –أو جانبي – العمل الإسلامي، وجدنا أنَّ جانب الإعداد والتربية على صعيد الأفراد، أو على الصعيد الفردي يكاد يستوي على سوقه وينهض على قدميه، مع ملاحظة أنَّ هنالك فرقاً واضحاً – على الصعيدين النظري والعملي – بين المستوى الذي يستطيع الفرد أن يصل إليه على صعيد التربية الفرديَّة من جهة، وعلى صعيد التربية الجماعيَّة من جهة أخرى!.

إنَّ مستوى الإعداد الفرديّ للشباب المسلم اليوم – على الصعيد العملي، وكما أشرنا – قد بلغ الحدَّ الأدنى الذي يستطيع أحدهم من خلاله أن يصمد للشبهات والشكوك، وأن يكون إيجابياً في مواجهة أيِّ محاولة للطعن أو الدسّ! وحين تعجز معلوماته أو اطِّلاعه عن مثل هذا الرد، وإزالة الشبهة أو الاعتراض – حتى في هذه الحال- فإنَّ له من ثقته بعقيدته وشمولها وسموِّها وربَّانيَّتها ما يجعله يأوي إلى ركن شديد من الاطمئنان والتسليم، فلا تؤثر فيه هذه الاعتراضات، ولا تجعله يرتبك أو يفقد الثقة! ويمضي الأمر على هذه الصورة ويتطوَّر البناء الإسلامي للفرد باستمرار حتى يصل إلى المستوى الذي تسمح له به قدرته واهتمامه واندفاعه ومواهبه.

-٤-

[الجنوح إلى العمل الفرديّ على حساب العمل الجماعي]

٤ – فإذا اتَّجهنا نحو الشطر الآخر لنرى الصورة التي تقف عندها جموعٌ كبيرة من العاملين في الحقل الإسلامي أي من وجهة النظر الجماعيَّة، وعلى صعيد هذه التربية فإننا سنجد الغرابة والعجب، إنَّ كثيرين ممَّن يمثلون، في الظاهر الذي لا شك

فيه، مستويات رفيعة من الإعداد الفردي والتربية الشخصيَّة – إن صحَّ هذا التعبير – ما يزالون بعيدين عن الوصول إلى أدنى حدٍّ مطلوب من كل مسلم! لا ليكون أهلاً لمشاركة غيره من المسلمين في تحقيق أهدافهم الأساسية أو الكبرى، مهما يكن مستوى هذه المشاركة! لا لهذا فحسب، بل يحقق في شخصه أيضاً ذلك التوازن الذي لابد منه في الشخصيَّة الإسلامية الفردية والجماعيَّة والتي تؤهِّله بطبيعتها للقيام بهذا الدور في يَوم من الأيام.

-٥-

٥- وغالباً ما يعتذر أمثال هؤلاء بأنهم لا يريدون أن يقيِّدوا أنفسهم منذ الآن بالتزامات ليس لكثير منها مبرِّرات ظاهرة واضحة، وأنهم لن يتخلَّفوا عن مدِّ يد التعاون المخلصة عندما يُلاحظون أمراً ايجابياً تتحرك الجموع المؤمنة لتحقيقه!.

### [العمل الجماعي فنّ وتدريب مُستمرّ]

إنَّ من واجب هؤلاء العاملين أن يَعلموا أنَّ فنَّ التعاون والتناسق وموضوع أداء المهمَّات المشتركة الجماعية يَحتاج إلى تَدريب مستمر، وجُهد مُتواصل، وأنَّ من أهم أهداف العمل الجماعي الإسلامي: إنشاء كيان تنظيمي إسلامي يضع الجميع على مستوى العمل المنظَّم المُنسَّق ومُتطلباته؛ لتحقيق الإمامة الراشدة على منهاج النبوة...

وإنَّ مثل من يتوهَّم أن يتوهم أنَّ بإمكانه أن يكون عُنصراً فعَّالاً في أيِّ عمل جماعي مهما يكن مُستواه بدون أية مُقدِّمات من الإعداد والتدريب كمثل من يظنُّ أنَّ بإمكانه أن يخوض معركة أو حرباً شاملة بعد أن أتقن استعمال سلاحه الفردي أو أتقن الرمي والتَّسديد من بندقيَّتِه أو مُسَدَّسه!.

إنَّ المقدرة على استخدام السلاح الفردي تَختلف تماماً عن استخدامه في عمل جماعي مُنسَّق مُنَظَّم، وإنَّ إتقان فنِّ التعاون والتناسق يحتاج إلى خبرة وتدريبات طويلة تماماً كما يفعل الجندي في المناورات عندما يتدرَّب على استخدام سلاحه الخاص بتنسيق وتعاون مع جميع الأسلحة بأصنافها المختلفة وهي تعمل في الميدان، ويستمرُّ التدريب على فترات طويلة حتى تصل التشكيلات إلى مستوى أداء المهمات الدقيقة والمعقدة بنجاح.

### [المهارة في العمل الجماعي تغطي النقص في إعداد الفرد]

وعلى الرغم من أنَّ الحد الأدنى من الإعداد والتربية الفرديَّة ضرورة لازمة لا يمكن التَّغاضي عنها أو تجاوزها، فإنَّنا نلاحظ في ساحة الواقع أنَّ بعض الأفراد الذين ينفذون أدقَّ العمليات القتاليَّة الجماعيَّة التي تتطلَّب مُستوى عَالياً من التوافق والانسجام والانضباط هم أفراد سطحيُّون أو بُدَاة جَاهلون، ولكنهم أتقنوا هذا الفن من التعاون والتنسيق والتنظيم بجهد مُستمر من الإعداد والتدريب، مما يلقي ضوءاً على مسؤولياتنا في إعداد العاملين ليصبحوا على المستوى التنظيمي اللائق بالعمل الجماعي الإسلامي.

-٦-

**[تدريب أفراد الأمة في وقت مُبكِّر على الواجبات والالتزامات]**

٦ – لقد كان القرآنُ الكريم يتعهَّد الجيلَ الأول من الصحابة الكرام بالتربية والإعداد، وكانت آياتُ القرآن الكريم تُمثِّل الخطواتِ التي يجب أن يسير عليها منهجُ التربية لهذه الأمَّة في نشأتها الأولى، وفي كل مرة تحاول فيها أن تُعيد إلى البشرية الصورة الكاملة الواضحة لمنهج الله تعالى للبشريَّة.

ولقد كان العهد المكي يُمثِّل طوراً سلمياً من أطوار الدعوة، وكانت تعليمات النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته لأصحابه الكرام تأمرهم بالكفِّ والصفح والهجر الجميل.

وإنَّ مما يُلفت النظر حقاً أن تحتوي سورة المزمِّل، وهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم عبارةً صريحة عن القتال، وذلك قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآَخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآَخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾ [المزمل:٢٠].

فمثل هذه الإشارة الصريحة إلى القتال في عهد مُبَكِّر من الدعوة يشير بوضوح إلى أنَّ من منهج القرآن الكريم في تربية هذه الأمَّة وإعدادها أن لا تواجه بأيِّ نوع من الالتزامات والواجبات قبل أن تهيَّأ على المستوى النفسي والشعوري لتحمُّل تَبِعات هذا الواجب، وإنَّ من الخطأ الفادح و فْقاً لمنهج القرآن الكريم في التربية أن نُقْحِمَ الفردَ في إطار أو ظرف قبل أن يتلقَّى الزاد الكافي شُعورياً وفكرياً وحِسِّياً بحيث يكون أهلاً لخوضِ التجربة بنجاح.

ومثل هذه الأمور والإشارات في القرآن الكريم كثير، ففي سورة القمر – وهي من أوائل ما نزل في القرآن أو أواسط ما نزل بمكة – يقول الله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥] وحين نزلت قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر ورأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَثِبُ في الدرع ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥] عَلِمَ تأويلَها أو عَلِمَ وقتَ وقوعها، كما يقول المفسِّرون!.

وفي سورة الشورى التي نزلت بمكة بعد ذلك يصف الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ بقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ، وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشُّورى:٣٩] فتجمع هذه الآيات في وصفهم بين ما هم قَائمون عليه مُتحقِّقون به في مكة، وبين ما سيواجه (جماعتهم) في المستقبل من تكاليف وأعباء، وبحسبنا هنا قوله تعالى في صفتهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشُّورى:٣٩] ليعلموا أنَّ اختيار أسلوب المُسالمة والصبر في العهد المكي كانت له أسبابه الخاصَّة الموقوتة، وأنَّه أمرٌ عَارض وليس صفةً أساسيَّة في الجماعة المسلمة، ولكن عليهم من الآن، وقبل أن يُكلَّفوا بأعباء الجهاد أن يعلموا أنَّ الجماعة التي أُعِدَّت لتكون خيرَ أمَّة أخرجت للناس، من صفاتها الأساسية: الانتصار من البغي، وعدم الخضوع للظلم، وأنَّ عليها أن تَدفع العدوان: ﴿وَلله العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ [المنافقون:٨].

هذه المواقف وأمثالها تُذكِّرنا بأنَّ من طَبيعة المنهج القرآني في إعداد هذه الأمَّة أن تُهيَّأ بصورة مُبكِّرة في مَشَاعرِها وأحاسيسها وأفكارها وتدريبها لما يفرضه عليها المستقبل من احتمالات، أو لما يجب عليها أن تفرضه عليه من مواقف!.

ومن هذه القاعدة التربوية القرآنية ذاتها كان توجيه النبيِّ الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»، قَالَ ابْنُ سَهْمٍ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: فَنُرَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! [أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة]؛ لأنَّ حديث النفس ليس أحلاماً أو خَواطر تسبح في الفراغ! ولكنه تَحَرُّقٌ وتَشَوُّقٌ وإعداد يصوغُ حياة المرء في أصغر شؤونها وأخطرها على حدٍّ سواء.

ولعل هذا هو ما يذكرنا به الإمام الشهيد رحمه الله في وصيته المشهورة: (لا تمزح؛ فإنَّ الأمَّة المُجاهدة لا تَعْرف إلا الجد!).

-٧-

## [تعامل الإسلام مع المشاعر الإنسانية عندما تكون عقبة]

٧ – بل إنَّ الجهاد والغزو يذكِّرنا بأمر تربويٍّ آخر أبعدُ أثراً وأعمقُ دلالة وهو أنَّ هذا الإعداد النفسيَّ المسبق بقي في الجماعة المسلمة مُستمراً لم ينقطع حتى حين فرض عليهم القتال وأصبحوا على أبواب المعركة! هذا هو قول الله تبارك وتعالى يخاطبهم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] نعم، إن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ لا ليثبطهم عن القتال وقد أمرهم به! ولكن ليربِّيَ فيهم مشاعرهم الإنسانيَّة تجاه التكاليف والتَّبعات حين تكون هذه المشاعر عقبة أمام تلك التكاليف!.

ومهما فكَّر الإنسانُ فلن يعثرَ على مِثْل هذه الصَّراحة في مُواجهة المشاعر الإنسانيَّة! حتى في مثل تلك الحالة التي تكون فيها هذه المشاعر عقبة في سبيل تنفيذ الأوامر والتكاليف والتَّبِعات!.

إنَّ المناهج الأرضيَّة في التربية تحاول أن تَتَحايل لتستُر هذا الشعور ظناً منها أن تذكير الناس به قد يُقَلِّل حماستهم ويذكرهم، بمشاعرهم الفطرية العميقة، فَيَجْبُنون عن اقتحام الأهوال، ولكن التربية القرآنيَّة لا تتحايل على مشاعر الناس، بل تضعهم بوضوح أمام مشاعر قد تلمُّ بهم أو تَنْتَابهم وهم يَخوضون غَمرات القتال؛ لتربطهم منذ البداية بمشاعر التوكل والتسليم التي تنفي عنهم التأثير السلبي لمشاعر الناس ... هذه المشاعر التي تتخوَّف القتال وتتحاشاه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

-٨-

## [قصة بني إسرائيل مع الجهاد]

٨ - وما أروعَ ما قصَّه علينا القرآن الكريم وأبعد دلالته التربويَّة والتعليميَّة، حين حدَّثنا عن الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام الذين كانوا يتحرَّقون للقتال، ويتشوَّقون إليه، ويُطالبون به نبيَّهم بإلحاح وإصرار، وكان نبيُّهم بما أعطي من فراسة النبوَّة يراهم على حالة من الإعداد لا تسمح لهم بمثل هذا الطلب، فقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة:٢٤٦] ولكنهم أَبَوا عليه وأصرُّوا حتى ظهرت النتيجة الواضحة: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾

[البقرة:٢٤٦] وحين بعث الله تعالى لهم ملكاً يجمعهم ويُقَاتلون تحتَ رايته ما كان منهم إلا الاعتراض والاحتجاج، حتى جاءتهم الآيات والعلامات الشاهدة على ملكه وقيادته، وبعد ذلك الجدال والنقاش، وعندما جاء دور التنفيذ العملي لمتطلبات الجنديَّة، وسار الجند مع قائدهم: ﴿قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

لقد كان من واجبهم لو كانوا يُدركون معنى الجنديَّة الحقَّة أن يُبَادروا إلى طَاعة مَلِكِهم وقائدِهم في كلِّ أمر، ولو لم يَتَبَيَّنوا مواضعَ الحكمة في الأمر فليس في الوقت مُتَّسع للجدال والنقاش، ولكنهم فشلوا في هذا الامتحان فلم يكونوا أهلاً للجهاد، ولم يَصْمُدوا لاختبار الطاعة التي تُمثِّل أخطرَ مُقدِّمات الجنديَّة الربانية: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾.

وعندما وصل الأمر بهم إلى المواجهة العمليَّة الجادَّة لعدوِّهم خَانتهم طاقتهم التي لم يهتموا بها قبل تلك اللحظة حين كانوا يَسْتَسهلون الأمر ولا يَتَصوَّرون أنَّهم سَيَجْبُنون عنه في يَوم من الأيام، وها هم أولاء في اللحظة الحَرِجَة يقولون بصريح العبارة: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ ولم يصمد لهذه التجربة إلا قلَّة من الذين تهيَّأت نُفوسُهم لاحتمال كل مَشَقَّة؛ إذ كان لهم من إيمانهم العميق، وتوكلهم الصادق ما يَستشعرون معه حقيقة القوى الفاعلة في الكون فيركنون إليها بثقة واطمئنان، ويَسْتَلْهمون منها المدد والعون بعد أن أدَّوا واجبَهم في هذا السبيل ولم يبخلوا بما أوتوا من طاقة وقدرة على الصبر والاحتمال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة:٢٥١].

إنَّ هذه القصة التي يَعرضها القرآن الكريم عن الملأ من بني إسرائيل وما كان من أمرهم في الجهاد والقتال، توضِّح لنا الصورة عن المنهج القرآني في التربيةِ والإعداد.

إنَّ مثلَ أولئك الذين يَسْتَسهلون الأمور ولا يعملون ابتداء على اكتساب الخصائص النفسيَّة والفكريَّة والعمليَّة التي تؤهِّلهم لتطبيق تلك الأمور كمثل هؤلاء الملأ من بني إسرائيل الذين كانوا يُطالبون ويُصِرُّون ويتبجَّحون حتى إذا جاء الأمرُ خانتهم نُفُوسهم، وخَانَتهم قُدرتُهم على الصبرِ والاحتمال، وأَعلنوا بصراحة مُخزية عن فَشَلهم بعد التبجُّح والمطالبة والإصرار.

إنَّ العبارات الصريحة والإشارات الموحية عن القتال والجهاد في فترات مُبكِّرة من تاريخ الدعوة لتضعنا بوضوح أمام المنهج القرآنيِّ في تربية هذه الأمة، هذا المنهج الذي لا يُغْفِلُ ناحيةً شعوريَّة أو فكريَّة في أيِّ أمرٍ من الأمور إلا وينبِّه عليها ويَضعنا تجاهها

مُنذ البداية حتى تتكيَّف النفوس والإرادات مع مُتطلَّبات كل أمر وتواجهه كأقدر ما تكون استعداداً وتربية.

-٩-

## [تهيئة الفرد على متطلبات العمل الجماعي]

٩- والعمل الجماعي الذي يُمثِّل الدعوة التي أكَّدها النبيُّ صلى الله عليه وسلم وهو يأمر بلزوم الجماعة، لا يمكن أن يكون في معزل عما أثبتناه من مَلامح المنهج القرآني في التربية والإعداد.

ولابد أن نُدرِّب الناس منذ البداية، ونضع أمامهم صورة واضحة للمُتطلَّبات النفسيَّة والشعوريَّة والفكريَّة والعمليَّة للعمل الجماعي، ولو كان هذا العمل لم يصلْ إلى حدِّ النضج والاكتمال، أو كان هذا العمل في صورته الراهنة لا يستدعي مثل هذا الحَشْد من المُتَطلبات والمقدِّمات؛ لأنَّ الحكمة تلزمنا بعد إدراكنا لمنهج القرآن الكريم في التربية بأن نهتمَّ بمتطلبات العمل الجماعي ومُستلزماته، على كل صعيد ومجال، وفي وقت مُبَكِّر ؛ لتظلَّ النفس تَعيش مع هذه المتطلبات، حتى إذا جاءَ وقتُ التنفيذ العملي لم يكن في النفس أي مُمانعة مُستحدثة تجعلها في جُبْنٍ عن خوض المواقف العمليَّة الجديدة بفعاليَّة واقتدار، أو تجعلها في دهشة تعتريها إزاء مَواقف ومُتطلَّبات لم تكن في الحُسبان!.

## [المتطلبات النفسيَّة والفكريَّة والعمليَّة للعمل الجماعي]

وسنذكرُ فيما يلي طرفاً من المتطلبات النفسيَّة والفكريَّة والعمليَّة التي تجعل الفردَ أهلاً للعمل الجماعي الإسلامي عسى أن يكون في ذلك إعدادٌ كافٍ للعاملين يجعلهم أقربَ إلى الصورة التي رَسَمَها القرآن الكريم للتجمُّع الإسلامي: (صورة البنيان المرصوص).

**أولاً:** إنَّ أول مُتطلبات العمل الجماعي: **(الامتثال للقيادة والإمارة، والطاعة المخلصة لها فيما أحبَّ المرءُ المسلم أو كَرِه، وفيما أدركَ حِكْمَته وأهميَّته وفيما لم يدرك، إلى جانب تفاعله وتعامله مع كل من يَرتبط به في العمل الجماعي من حيث ما يُمثِّله في مُهمَّته أو وظيفته دون النظر إلى صفاته الشخصية التي قد تروقُ له أو لا تروق، أو قد يَنسجم مَعها أو لا ينسجم)**؛ إذ لا مَعنى لأيِّ عَمَل جَمَاعي لا تتوحَّد فيه جهودُ العاملين على كلمة جَامعة يعبر عنها القائد أو الأمير، وإنَّ أيَّ مَجموعة من

الرجال دون قائد مُطاع مجموعة فاشلة لا تستطيع أن تنجزَ عملاً من الأعمال وبخاصَّة إذا كانت هذه المجموعة مُؤلَّفة من عناصر مُمتازة ذات مواهب.

وقد يُسلِّم المرءُ بهذه الفكرة ويطمئنُّ إلى صحَّتِها من الناحية النظريَّة، ولكننا إذا أردنا أن يستمرَّ هذا الاطمئنان وهذا التَّسليم فلابد من الوقوف على مُتطلباته النفسيَّة، حرصاً على دوام فكرة الطاعة وعدم تعرضها للضعف والتقلبات.

### [القدرة على التكيُّف]

١ - وإنَّ من أهمِّ هذه المتطلبات: القدرة على التكيُّف مع ما يُمثِّله الفرد في البنيان الجماعي بغضِّ النظر عن الصفات الشخصيَّة والجسميَّة التي قد تُعجب الفرد أو لا تعجبه، فإنَّ الكثيرين ممَّن يَبْدون في عطالة ظاهرة عن العمل الجماعي يحتجُّ لتلك العطالة بأنَّه يَتَضايق من فلان أو لا يستطيع أن ينسجم مع فلان أو أنه لا تعجبه ولا ترضيه طريقة فلان في التَّحدُّث، أو مُعَالجة الأمور... إلى غير ذلك من المشاعر تجاه الأشخاص.

من هنا كان حرص النبيِّ صلى الله عليه وسلم على تهيئة الصحابة رضوان الله عليهم، وإعدادهم لتقبُّل هذا الأمر، فعندما بَايعهم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكَرِهوا فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ» [أخرجه البخاري]. وكأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُريد أن يدرِّبَ أمَّتَه على امتلاك هذه الصفة النفسيَّة الضرورية لحفظ وحدتها وجمع كلمتها عندما كان يرسلُ السرايا والبعوث وربما أمَّرَ عليها بعضَ الشباب وفي القوم فُضَلاء الصحابة.

### [تأهيل الفرد على تقبله مخالفته]

٢ – وإنَّ من أهمِّ هذه المتطلبات: امتلاك المقدرات النفسيَّة التي تؤهِّل الأخ لأن يَحتمل مُخالفة آرائه الشخصيَّة ورغباته وأهوائه دون أن يسبِّبَ له ذلك شعوراً بخيبة الأمل أو انزعاجاً ينأى به عن الفعاليَّة والإيجابيَّة.

إنَّ كثيرين ممن تَتَسلَّط عليهم بعضُ الأفكار الجزئيَّة في الإصلاح أو الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، يُغالون في الاندفاع وراء أفكارهم الجزئيَّة، وخاصَّة إذا كانت تشغل حيِّزاً من نفوسهم، ومُطالعاتهم واهتماماتهم حتى يخرجهم ذلك من دائر ة الطاعة والالتزام وهم يحسبون أنَّهم يُحسنون صنعاً، فتراهم يتحدَّثون في أي مَجَال يكونون فيه عن أفكارهم ونظراتهم، ولا يتحرَّجون من اتِّهام مَن لا يشاركهم في تقييمهم

لأفكارهم ونظراتهم بالقصور والجهل والجمود والتَّحجُّر، ويظلون على هذه الحال حتى يخرجهم ذلك عن فكرة الطاعة والالتزام.

إنَّ أمثال هؤلاء يجب أن يتأمَّلوا بعمق خطبة سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما قال: (يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمَرَ به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفُرقة).

إنَّ أمثالَ هؤلاء يجب أن يَعْلموا أنَّ من واجبهم عندما يرون بُعداً عن الحق والصواب، أو قصوراً عن الاهتمام ببعض الأمور التي يرون أهميتها: أن يصدعوا بالحق كما عرفوه ويؤدُّوا واجبَهم في النصيحة والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر كل ذلك بآدابه وشروطه، حتى إذا انطلقوا للعمل كانت تصرُّفاتهم دليلاً واضحاً على أنَّ كلامهم ونصحهم ما كان ليؤثِّر في شدَّة إيمانهم بالعمل الجماعي، وبالحرص الشديد على تقديم مُتطلباته على أي اعتبار آخر.

-١٠-

## [بناء الثقة في العمل الجماعي وفي الأمير أو القائد]

إنَّ هناك وسائل مُتعدِّدة يَستطيع المرءُ عن طريقها أن يصحِّح الأخطاء ويقَوِّم الاعوجاج، ولكن الطريقة الوحيدة التي لا تخطر ببالِ المؤمن الواعي هي أن يتَّخذ من النصيحةِ والصدع بالحق وسيلةً لتدمير ثقةِ الناس بالعمل الجماعي أو ثقتهم بقادتهم وأمرائهم.

أخرج أحمد عن رجل قال: (كنا قد حملنا لأبي ذر رضي الله عنه شيئاً نريد أن نعطيَه إياه، فأتينا الرَّبَذة، فسألنا عنه فلم نجده، قيل استأذن في الحج فأذن له، فأتيناه بالبلدة وهي منى، فبينا نحن عنده إذ قيل له: إنَّ عثمان رضي الله عنه صلى أربعاً فاشتدَّ ذلك عليه، وقال قولاً شديداً، وقال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين، وصليت مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم قام أبو ذر رضي الله عنه فصلى أربعاً، فقيل له: عبت على أمير المؤمنين شيئاً ثم تصنعه؟ قال: الخلاف أشد، إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خَطبنا فقال: إنَّه كائن بعدي سلطان فلا تذلوه، فمن أراد أن يذلَّه فقد خَلَع رِبْقَة الإسلامِ من عُنُقِه، وليس بمقبول منه توبة حتى يسدَّ ثُلْمَتَه التي ثلم وليس بفاعل، ثم يعود فيكون ممَّن يعزه، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يغلبونا على ثلاث: أن نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعلم

الناس السنن) [قال الهيثمي في المجمع: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِيهِ رَاوٍ لَمْ يُسَمَّ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ].

إنَّ من أهم ما يجبُ أن يتأمَّله المرءُ في هذه الحادثة أن يتعلَّم كيف يَندفع إلى التطبيق العمليّ بجديَّة وفعاليَّة في كل أمر يكون من الأمير أو القائد ولو كان هذا الأمر مخالفاً لرأيه واجتهاده في لزومه وأهميته أو صوابه، وأن لا يمنعنا هذا الموقف العملي الإيجابي عن النصح والأمر بالمعروف كما نراه، والنهي عن المنكر الذي نعتقد، وأن نعلم الناس السنن.

ولعل ممَّا يؤدّي هذا المعنى ما ذهب إليه بعض الفقهاء من وجوب متابعة الإمام في صلاة الجماعة ولو ترك سنة أو سها عن واجب؛ لأنَّ الحفاظ على الجماعة أولى من المفارقة! ويقرب من هذا ما نصَّ عليه الشافعية من أنَّ ضابط العذر المبيح لمفارقة الجماعة هو العذر المرخِّص لتركها ابتداء!.

وإنَّ من أوضح ما يدل على هذه المعاني أيضاً ما أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٩٧ )، وأبو داود (٢٧١٩) بإسناد صحيح عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ، وَرَافَقَنِي مَدَدِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ سَيْفِهِ، فَنَحَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَزُورًا، فَسَأَلَهُ الْمَدَدِيُّ طَائِفَةً مِنْ جِلْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَاتَّخَذَهُ كَهَيْئَةِ الدَّرَقِ(الترس) ، وَمَضَيْنَا، فَلَقِينَا جُمُوعَ الرُّومِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَشْقَرَ عَلَيْهِ سَرْجٌ مُذَهَّبٌ، وَسِلَاحٌ مُذَهَّبٌ، فَجَعَلَ الرُّومِيُّ يُغْرِي بِالْمُسْلِمِينَ، وَقَعَدَ لَهُ الْمَدَدِيُّ خَلْفَ صَخْرَةٍ، فَمَرَّ بِهِ الرُّومِيُّ فَعَرْقَبَ فَرَسَهُ، فَخَرَّ وَعَلَاهُ فَقَتَلَهُ، وَحَازَ فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ، بَعَثَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَأَخَذَ مِنْهُ السَّلَبَ، قَالَ عَوْفٌ: فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا خَالِدُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالسَّلَبِ لِلْقَاتِلِ. قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي اسْتَكْثَرْتُهُ، قُلْتُ: لَتَرُدَّنَّهُ إِلَيْهِ أَوْ لَأُعَرِّفَنَّكَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ. قَالَ عَوْفٌ: فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ الْمَدَدِيِّ، وَمَا فَعَلَهُ خَالِدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا خَالِدُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسْتَكْثَرْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا خَالِدُ، رُدَّ عَلَيْهِ مَا أَخَذْتَ مِنْهُ ". قَالَ عَوْفٌ: فَقُلْتُ: دُونَكَ يَا خَالِدُ، أَلَمْ أَفِ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَمَا ذَاكَ؟ "، فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: " يَا خَالِدُ، لَا تَرُدَّهُ عَلَيْهِ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِيَ أُمَرَائِي لَكُمْ صَفْوَةُ أَمْرِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ كَدَرُهُ"؟

## [تربية الجنديَّة في الفرد المسلم]

هذا ولن يستطيع المرء أن يصل إلى مثل هذا الوعي والإدراك ما لم يتدرَّب، وعلى فترات طويلة، على مُخالفة آرائه ونظراته ورغباته، حتى إذا اعتادَ ذلك وصل إلى نفسيَّة الجُندي الذي يُعتمد عليه في أيِّ أمر، ولو لم يَتَّسع الوقت لإعطائه المبرِّرات والمقدِّمات التي تجعل القيادة تُفضِّل بعضَ الحلولَ والاقتراحات.

وإنَّ خيرَ وسيلة للتدريب على مثل هذه الأمور النفسيَّة نجده فيما ذكره الإمام الغزالي عن العلاقة بين القلب والجوارح، فكل أمرٍ يكون في القلب، يظهرُ أثرُه على الجوارح لا مَحَالة، وكل أمر يَكون في الجوارح ونتكلَّف فِعْلَه يترشَّح منه إلى القلب أثر. وإنَّ اعتياد التدريبات الحسيَّة المتكلَّفة والصدمات الشعوريَّة المُفتعَلة يترشَّح منها إلى القلب مَشَاعر الاحتمال والصبر، والقدرة النفسيَّة على احتمال أي أمر، وتقبُّل أية تعليمات مهما تكن مُزعجة أو مُخالفة للرغبات والأهواء الشخصيَّة.

ولكن لن تكون مثل هذه التدريبات ناجحة في إحداث الأثر المطلوب في النفس والقلب إلا إذا صاحبها الوعي التامّ للمعنى المراد تَحقيقه في القلب مع كل مرحلة من مراحل التدريب؛ لأنَّ التدريبات الحسيَّة مهما بَلغَت لن تنجحَ في إحداث الأثر المطلوب بدون هذا الوعي والفهم العميق.

ويوضِّح هذه الناحية ويشرحها قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٨٣] فالصيام الذي هو امتناع عن الطعام والشراب وسائر المُفَطِّرات، يُقْصَدُ من ورائه ذلك الأثر يرتفع إلى القلب وهو شعور التقوى.

وإذا غفل الإنسان عن الربط الواعي بين التجارب الحسيَّة التي يمرُّ بها والمعاني الكريمة التي يجبُ أن يلاحظها وهي تترشَّح إلى قلبه لم يكن له من صيامه إلا الجوع والعطش، ولم يكن للقائم من قيامه إلا التعب والنصب، وإن كان يظنُّ نفسَه أنَّه يُشارك الصائمين والقائمين فيما يَسْتشعرونه في قلوبهم من المعاني والمشاعر؛ لأنه يشاركهم بجهدهم وعطشهم وتعبهم ونَصَبهم.

ولكن مثل هذا الشعور لن يرتفعَ إلى القلب إلا إذا وَعَى الإنسان معنى البُعد عن الشهوات استجابةً لرغبة أو خوفٍ من الله عزَّ وجلَّ، فإذا استطاعَ المرءُ أن يربط بهذا المعنى كل عمل يعمله، ترشَّح إلى القلب ذلك المعنى الكريم، وحقَّق هدفَه التربوي: ﴿**لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ**﴾ [الحج:٣٧].

وكذلك عندما يتدرَّب المرءُ على احتمال الألم والصدمات الحسيَّة العنيفة يكتسب المقدرة على الصبر والتماسك أمام الصعوبات النفسيَّة والشعوريَّة، وذلك حسب الطريقة التي قرَّرها الإمام الغزالي رحمه الله تعالى.

[تقبُّل الاجتهادات المخالفة]

**-١١- ثانياً[٢]:** ومن أهمِّ ما يُميِّز الفردَ الصالح للعمل المشترك مع الآخرين: سَعَة الصدر ، وسَعَة الأفق لتقبُّل الآراء والمواقف والاجتهادات المخالفة.

إنَّ المرء الذي يَضيق صدره عن أن يتَّسع لما يخالفُ آراءه في المسائل الاجتهاديَّة لا يصلحُ للعمل الجماعي مهما كان مُستواه، وإنَّ المرءَ الذي يُنكر على الآخرين حقَّ النظر المستقلّ هو شخص يحمل في نفسه صفات تسلطيَّة، تَحرمه من فهم معنى التسامح الواجب في العمل مع الآخرين، وتجعله ممَّن يمكن أن نصفهم بالتعصب والتَّحجُّر.

إنَّ المسائل التي أجمع عليها علماء الأمة، سواء منها ما يتعلَّق بالعقائد أو الأمور العمليَّة تُعتبر الحد الأدنى لما يجب أن يلتزم به، ويقف عنده كل مسلم حتى لا يخرج من (جماعة المسلمين)، ذلك المصطلح الذي يعني في هذا المقام موقفاً فكرياً وعَقَدياً يوافقُ صاحبه ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم.

وأما ما وراءَ ذلك من المسائل ظنيَّةِ الثبوت، أو ظنيَّةِ الدلالة فإنَّ الاختلاف فيها أمر طبيعي، نابعٌ من تَفَاوت عقول البشر في الفهم، وفي تقدير الأمور والمصالح.

والمسلم الذي يُريد أن يدرِّبَ نفسَه ليكون أهلاً للعمل الجماعي، يجبُ أن يحرص على أن يعيَ هذه النقطة بعمق فينكر عندما يرى خروجاً على الإجماع، ويسلِّم عندما يرى اجتهاداً في الأمور الظنيَّة، ولو كان هذا الاجتهاد يخالف ما تعلَّمه، ويخالف تَصوُّرَه عن هذه الأمور.

إنَّ الحق في المسائل الخلافيَّة لا يتعدَّد فلا بد أن يكون أحد المجتهدين مصيبًا، ولكنَّ الله تعالى ضمن الأجر والقَبول لكلِّ مؤمن تحرَّى الصِّدقَ، وبذل جهده ووسعه ليتعرَّف على الحق حتى إذا غلب على ظنِّه جواباً أو رأياً أو موقفاً، فهو الرأي والموقف

---

[٢] – تقدم أولا : الامتثال للقيادة والإمارة والطاعة المخلصة لها .. في الفقرة [٩] من هذه الدراسة

الذي يتقبَّله الله تعالى منه، طالما أنه لم يخرج في فهمه عن قواعد الاستنْباط ومَنَاهج الفهم المقرَّرة في كتاب الله، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان هذا الأمر ممَّا تدرَّب عليه الصحابة رضي الله عنهم، وأبدوا فيه نموذجاً رائعاً للفهم وسَعة الصدر، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث نافع عن عبد الله أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن يتوجَّه إلى بني قريظة ليستأصل الغدر والخيانة نادى في المسلمين: " ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"، فسار الناس فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ولم يُرِدْ منَّا ذلك، فذكروا ذلك للنبيِّ صلى الله عليه وسلم فلم يُعَنِّفْ أحداً منهم.

وفي مثل هذا الإقرار تأكيد على أهم مُتطلبات العمل الجماعي في سَعَة الصدر للآراء والمواقف الاجتهاديَّة المخالفة.

وإنَّ مما يَجب أن نشيرَ إليه في هذه الحادثة: أنَّ الصحابة رضي الله عنهم لم يَستوقفهم مثل هذا الخلاف للجدال والخصام، فقد كان هدفُهم الكبير في القضاء على بني قريظة، يَغلب على إحساسهم فلم تشغلهم الجزئيَّات؛ لأنَّ الحفاظ على وحدة الجماعة في مثل هذا الظرف أخطر من الحرص على أداء الصلاة على وقتها.

إنَّ توجُّسَ بعض الناس وتأذِّيهم من الخلاف في الأمور الاجتهاديَّة، ومُحَاولتهم القضاء على هذه الظاهرة عَبَثٌ لا يَستقيم مع الفهم العميق لطبيعة الأدلة الشرعيَّة في الأحكام العمليَّة. ولو أمكن أن تتوحَّد الأفهام عندما تَتَصدَّى لتحليل النصوص ذات الدلالة الظنيَّة لكان الصحابة هم أوْلى الناس بهذا الفهم الموحَّد، ولكنها حكمة الله تعالى التي تُريد تَوسيعاً على العباد، وبُعْداً بهم عن الحَرَج في الدين، أرادت أن تسبغ عليهم هذه المنَّة الكُبرى، وما عليهم إلا أن يُهذِّبوا نفوسهم بالتربية والتأديب حتى لا يجنح بهم هذا الاختلاف الطبيعي إلى الحزبيَّة والعصبيَّة والتحجُّر.

وحين يصدر الأمرُ عن الأمير فإنَّ هذا التَّسليم وسَعَة الصدر للآراء الاجتهاديَّة يُعينان على الطاعة والتزام رأي الأمير أو القائد، ولو جاء مُخالفاً للآراء أو الاجتهادات الشخصيَّة. وتعتبر حادثة سيدنا أبي ذر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما بشأن صلاة سيِّدنا عثمان رضي الله عنه الظهر أربعاً في مِنى مثالاً رائعاً للانضباط الإسلامي الواجب مع القادة والأمراء، ومثالاً رائعاً للحرص الشديد على جمع شَمْل الأمَّة والبُعد بها عن الخلاف والشقاق.

وكثيراً ما يَدور النقاش بين العاملين في مجال الدعوة حول أساليب العمل والحركة وطرقها، وقد يَترتَّب على مثل هذه الأحاديث بعض الآثار السلبيَّة في اندفاع الفرد وفعاليَّته ونشاطه.

إنَّ موقف الفرد من مثل هذه الأحاديث والمناقشات يجب أن يكون موقف المتحرِّي للصواب الذي لا يردُّ حقاً ظهرت حُجَّتُه مهما كان بين صاحب هذا الحق مبيتاً من المواقف والسلبيات، وذلك حتى لا يقعَ الفرد في الكِبْر الذي هو بَطَر الحقِّ وغَمْط الناس، وليس من الكبر المنهي عنه أن نخالفَ الناس في الأمور الاجتهاديَّة التي تُترك لرأي الأمير واجتهاده ولو كان عند هؤلاء الناس طرف من دليل أو جانب من صواب، فإنَّ كل الأساليب التي يمكن استخدامها لبلوغ هدفٍ مُعيَّن لا تغدو أن تكون أموراً اجتهاديَّة لا يدعم أيّاً منها دليلٌ قطعي ثابت لا يجوز مُخالفته بحال، وفي مثل هذه الأمور الاجتهاديَّة، يُترك الأمر لتقدير الأمير واجتهاده، والطاعة في الأمور والمسائل الاجتهاديَّة واجبة، وفي مثل هذه الأحوال تُسعف المرءَ ثقتُه بقائده وأميره، وثقته كذلك بطريقه الذي اختار، وملاءمة هذا الطريق لمعطيات الواقع والإمكانيات المتوفِّرة للعمل.

## -١٢-

### [التعاون مع المستويات المختلفة للناس فهماً ووعياً وتنفيذاً]

**-١٢- ثالثاً[٣]:** وممَّا يجبُ أن يتحلَّى به المرءُ في مَجَال العمل الجماعيّ: القدرة على التعاون مع المستويات المختلفة في الفهم والوعي، والتنفيذ والأخذ بالعزائم.

إنَّ المرءَ الذي يدركُ حقيقةَ اختلاف الناس في طاقاتهم ومستوياتهم لا يضيق صدراً بما يراه منهم من مواقف قد لا ترتقي إلى المستوى الذي يرتضيه هو لنفسه، أو إلى المستوى الذي يراه ضرورياً في جميع الأفراد تبعاً لقوة إيمانه ومدى تَمثُّله لفكرته وعقيدته.

إنَّ كثيراً من الأفراد، وبخاصَّة أولئك المتميزين الذين حباهم الله من المواهب ما يجعلهم يتفوَّقون على أقرانهم في أيِّ ناحية من النواحي، قد يَسُودُهم شعورٌ من السخط والاسْتياء عندما لا يجدون فيمن حولهم من يشاركهم في الأخذ بالعزائم، فتراهم لا يستطيعون التعاون مع الناس، وقد ينتهي بهم الأمر إلى شعور من التعالي يصل بهم إلى الكبْر والغرور، ويبتعد بهم عن خُلُق التواضع للمؤمنين والذلَّة لهم.

### [من أدبيَّات العمل الجماعي: عدم أخذ الجماعة بالشدة]

---

[٣] – تقدم أولا : الامتثال للقيادة والإمارة والطاعة المخلصة لها .. في الفقرة [٩] ، وثانيا: في سَعَة الصدر وسَعَة الأفق لتقبُّل الآراء والمواقف والاجتهادات المخالفة. في الفقرة [ ١٠ ] من هذه الدراسة

١ – إنَّ على المرء في مجال العمل الجماعي ألا يضيق صدراً بعدم مُشاركة النَّاس له فيما ارتضاه لنفسه من مستوى عال من الأخذ بالعزائم والشدَّة على النفس والصلابة في التمسَّك، إنَّ عليه أن يتذكَّر أنَّ إخوانَه من حوله وإن لم يشاركوه في كل ما ذكرناه فإنهم يتَّفقون معه على طريقة واحدة ومنهج واحد في الفهم والوعي، ويتَّفقون معه في الفهم المتكامل الشامل للإسلام ومنهجه في الحياة، ويتفقون معه على أساسيات العمل والحركة.

وإنَّ عليه أن يدركَ أنَّ حركة الناس بهذا الدين بَعيداً عن الفهم الشامل لروح الإسلام، وبعيداً عن الأساسيات في العمل والحركة لن تكونَ ذات غَناء ولن تثمر أيَّ فائدة يرجوها مؤمنٌ مُخْلص واعي.

إنَّ الوقوف على المنهج السديد في العمل والحركة، يُمثِّل القوَّة التي أُمِرَ المؤمنون بإعداد ما يَستطيعون منها، ولن يكون البديلُ عن هذه القوَّة في الوعي والحركة والعمل قوة أخرى في الأخذ بالعزائم والشدَّة على النفس والصلابة في التمسك، فإنَّ لكل قوة مَجالاً ولا تغني واحدةٌ عن أخرى.

وإنَّ مما يؤكِّد هذا المعنى ويلقي الضوءَ على ضَرورة التعاون مع الناس، وإن ضعفت إرادتهم عن الأخذ بالعزائم والشدَّة على النفس قول النبي صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه عندما اختصم مع أميره خالد بن الوليد رضي الله عنه: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ» [أخرجه مسلم، من حديث عوف بن مالك].

### [استثمار النقاط الإيجابيَّة في كل فرد]

٢ – إنَّ المرءَ الذي يتذوَّق مُتطلبات العمل الجماعي يستطيع أن يجد في كل فرد من حوله بعضَ النقاط الإيجابيَّة التي يستطيع أن يتعاونَ معه على أساسها مهما تكن هذه النقاط جزئيَّة أو ذات أهميَّة محدودة، وما على المرء في هذا المجال إلا أن يعمل على تطوير مَقدرته على كشف نقاط الالتقاء، ويتعوَّد الصبر وسَعَة الصدر حتى يتقبَّل مُستويات الناس، ويُسلِّم لهم أحوالهم.

وما عليه في هذا السبيل إلا أن يحرص على آداب التعاون ومُستلزماته حتى يصلَ بمجموعته إلى الانسجام والتوافق، وإلى شعور عَميق بالوحدة تجمعهم وتشد بعضهم إلى بعض بعيداً عن كل ما يُؤدِّي إلى التدابر والتَّفرُّق والانقسام.

إنَّ النُّصحَ والوعظَ وشحذَ الهمم واجبٌ أساسيٌّ في عُنق كل مسلم، ولكن الذي أثبتناه من ضرورة التكيُّف مع مُستويات الناس المختلفة لا يَعني إلا أن يكونَ النصحُ والوعظُ وشحذ همم الناس وَاعياً، وبَعيداً عن تَدمير وحدة الصف، وثقة الناس بقَادتهم وأمرائهم ومن كانوا يَثقون بهم.

إنَّ للنصيحة آداباً يجب أن يتخلَّق بها كل ناصح، وإن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آداباً كذلك وشروطاً، وإنَّ من أهمِّ واجبات الناصح المخلص والداعية الواعي: ألا يفوت بما يدعو إليه من الخير أموراً ومَصالح أشدَّ ضرورة للمسلمين وللتجمُّع الإسلامي.

إنَّ درءَ المفاسد مُقدَّم على جَلب المصالح، وإنَّ من الحكمة أن تترك السعي للوصول إلى مصلحة ما –ولو كان فيها الخير والصواب- إذا كانت تُفَوِّت مصلحةً في مرتبتها أو أعلى منها. وإنَّ من أهم ما يجب أن يحرص عليه المؤمن الواعي هو جمع الكلمة، والبعد والحذر الشديد من تَدمير ثقة الناس بالعمل الجماعي وضرورته وجديته.

وقد ذكر القاضي أبو بكر العربي في (العواصم) تعليقاً جديراً بالتأمُّل العميق فقال: (وأما نفيه – أي سيدنا عثمان – أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل! كان أبو ذر زاهداً، وكان يُقَرِّع عمال عثمان ويتلو عليهم: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤] ويراهم يتَّسعون في المراكب والملابس حين وجدوا، فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بينِ أيديهم، وهو غيرُ لازم، قال ابن عمر وغيره من الصحابة: إنَّ ما أُدِّيتْ زكاته فليسَ بكنز، فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام، فخرج إلى المدينة، فاجتمع إليه الناس فجعل يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان: (لو اعتزلت) معناه: (إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، فإنَّ للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها، ومن كان على طريقة أبي ذرٍّ رضي الله عنه فحاله يَقتضي أن يَنفردَ بنفسه، أو يخالط، ويُسَلِّم لكلِّ أحد حَالَه مما ليس بحرام في الشريعة.

فخرج أبو ذر إلى الربذة زاهداً فَاضلاً ، وتَرك جِلَّةً فضلاء، وكلٌّ على خير وبركة وفضل، وحال أبي ذر أفضل، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو كانوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتِّب المنازل) اهـ

إنَّ هذه الوقفة عند ذلك العرض الذي أشار به سيدنا عثمان على سيدنا أبي ذر رضي الله عنهم لتعني أنَّ من شروط أهليَّة الفرد التعامل مع الناس والاشتراك معهم في أيِّ عمل أن يسلِّم أحوالهم وأوضاعهم التي لا نصَّ على حُرمتها، ولا نصَّ على وجوب

البُعد عنها، وليتحفَّظ لنفسه بعد ذلك بما يرتضيه لها من الأخذ بالعزائم، والشدَّة والحزم في التمسُّك والاقتداء بأحوال السلف الصالح.

وإن لم يعِ الفردُ مثلَ هذه المتطلبات للعمل الجماعي فما عليه إلا أن يدرك أنَّه ليس أهلاً للعمل والاشتراك مع الناس في أيِّ عمل، وليسمع كلمة سيدنا عثمان رضي الله عنه: (لو اعتزلت) تلك الكلمة التي تضعُ المرءَ على مَفرق الطريق بين العزلة والانفراد، وبين التعامل الصامت المنتج البعيد عن الاعتراض والإنكار.

## -١٣-

### [أدب المطالبة بالحقوق]

**-١٣- رابعاً[٤]:** وإنَّ من أهمِّ ما يجبُ أن يُدركَه المرءُ بعُمق عندما يكون في أيِّ عملٍ جماعيٍّ إسلاميٍّ: أنَّ مما يميز الفكرة الإسلاميَّة والخلق الإسلامي عن الأفكار والفلسفات البشريَّة، أنَّها جميعاً تتزلَّف للفرد حين تُعلِّمه لغة المطالبة بالحقوق والنضال من أجل الأخذ بينما يسمو الإسلام بالفرد حين يعلمه لغة الواجب والأداء والعطاء.

إنَّ لغةَ المطالبة بالحقوق عندما تكون هي لغة التفاهم الأولى بين الناس في أيِّ تجمع فإنَّ ذلك يعني أنَّ علاقات الناس تَنتهي بهم إلى الصراع والحقد؛ لأنَّ حقَّ كل فرد يمثِّل واجب فرد أو أفراد آخرين، ولغة المطالبة الملحَّة تنتهي بالطرفين إلى علاقات مُتوتِّرة بعيدة عن المودَّة والتسامح والصفاء.

أما لغة الأداء والعطاء والواجب فإنَّها تنتهي بالجميع إلى الوئام والحب، وتكون النتيجة الطبيعة لمثل هذه اللغة في التفاهم أن يَصل الجميع إلى حقوقهم بصورة غير مُباشرة بعيداً عن الإلزام المحرج أو المواجهة العنيفة بعد أن يقدِّم كل فرد مثالاً وقدوة لكلِّ من حوله بالعمل الصامت الدائب مع احتساب الأجر والمثوبة عند الله تعالى.

إنَّ أيَّ عمل جَماعيٍّ ناجح لا يكون نجاحُه إلا على أكتاف أولئك الذين يُؤمنون بالواجب والبذل ولا يرهقونَ غيرهم بالإصرار على الحقوق.

إنَّ الإسلام يُعلِّم الفرد لغة الواجب، ولغة البذل والعطاء، ويدفعه في هذا السبيل بكلِّ وسيلة، فالنصيحة بكل ما تعنيه من الالتزام الحق وتبنِّيه، ومحاولة نشره بين

---

[٤] – تقدم أولا : الامتثال للقيادة والإمارة والطاعة المخلصة لها .. في الفقرة [٩] ، وثانيا: في سَعَة الصدر وسَعَة الأفق لتقبُّل الآراء والمواقف والاجتهادات المخالفة. في الفقرة [ ١٠ ]، وثالثا: في القدرة على التعاون مع المستويات المختلفة في الفهم والوعي، والتنفيذ والأخذ بالعزائم في الفقرة [ ١٢ ] من هذه الدراسة.

الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالسمع والطاعة والإيثار، كل ذلك وسائل مُجْدية من تذوَّقها وأدرك أبعادها في البنية الاجتماعية التي يعيشها، أدرك تماماً أنَّ الإسلام يُربّي الفرد الصالح على أن يكون همُّه ما يُعطي وما يبذل، لا ما يأخذ؛ فإنَّ «اليد العليا خير من اليد السفلى» [أخرجه البخاري ومسلم من حديث حكيم بن حزام وغيره]، «الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ». [قال الهيثمي في المجمع: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّارُ، وَفِيهِ يُوسُفُ بْنُ عَطِيَّةَ الصَّفَّارُ وَهُوَ مَتْرُوكٌ].

-١٤-

**-١٤- خامساً[٥]:** وبعد أن يدركَ الفردُ واجبه في العمل على التكيُّف مع مفهوم الواجب والعطاء، ومفهوم الكفِّ والتَّسليم للآخرين الذين لا يُماثلونه عملياً في الإمكانات والفهم والمقدَّرات، ومَفْهوم سَعة الصدر ليتَّسع للآراء والمواقف الاجتماعيَّة المخالفة، لابد له بعد ذلك أن يَقف مَليّاً ويتأمَّل بعضَ الآداب الإسلامية في التعامل مع الناس، وذلك حتى لا تؤدِّي تصرفاته، وهو يتحرك بينهم، إلى إثارة بعض الحساسيات وكوامن المشاعر التي قد تُعَقِّد الأمور، وتنأى بالفردِ عن تحقيقِ أهدافِه التي يَرجوها ويعمل من أجلها.

**[ الرفق والمُداراة من أهمِّ آداب التعامل مع الناس]**

١– وإنَّ أول أدب يجب أن يَلتفتَ إليه الفردُ في تعامله مع الناس: **الرفق والمداراة**؛ فعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» أخرجه مسلم، والمداراة الواجبة هي التلطُّف بالخَلق لاستخراج الحقِّ منهم، أو ردِّهم عن الباطل، وهي غير المداهنة التي هي التلطُّف بالخلق لإقرارِهم على الباطل، إنَّ الرفق والمداراة من أخلاق المؤمنين، والمداهنة من أخلاق المنافقين: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصِّلت:٣٤].

---

[٥] -- تقدم أولا : الامتثال للقيادة والإمارة والطاعة المخلصة لها .. في الفقرة [٩] ، وثانيا: في سَعَة الصدر وسَعَة الأفق لتقبُّل الآراء والمواقف والاجتهادات المخالفة. في الفقرة [ ١٠ ]، وثالثا: في القدرة على التعاون مع المستويات المختلفة في الفهم والوعي، والتنفيذ والأخذ بالعزائم في الفقرة [ ١٢ ]، ورابعا:تقديم الأداء والعطاء والواجب على المطالبة بالحقوق في الفقرة [ ١٣ ] من هذه الدراسة.

## [التواضع وخفض الجناح]

٢– وإن من آداب المؤمنين: التواضع وخفض الجناح...ويجب أن يراعى هذا الأدب بخاصة عند الأمر بالمعروف، أو النهي عن المنكر، أو عند النصيحة، حتى لا تُتَّخذ مثل هذه الأعمال طابع التعالي والفوقية والأستذة، ولعلَّ أهل ما يجب مراعاته في هذا السبيل: إبداء النصح على انفراد وفي السر حتى لا يكون في ذلك توبيخ أو تأنيب وتقريع على رؤوس الأشهاد.

٣– ولا بأس هنا بالتذكير السريع بجملة من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الأخ في تعامله مع الناس في سبيل تحقيق أهدافه في العمل والدعوة كما أشرنا إلى ذلك قبل قليل: فإلى جانبِ وجوبِ التلطُّف في إيصال الفكرة، أو التوجه إلى الآخرين بالرد أو الاعتراض، وهي صورة من صور الرفق والمداراة، فإنَّه لابد من أن تكون عنده القدرة على فهم دوافع التَّصرُّف عند الناس مع قبوله للأعذار، وحسن الظنِّ بالمسلمين، والبُعد عن التجسُّس عليهم – فضلاً عن عدم الطعن بالآخرين – مع الاهتمام بشؤون المسلمين العامة، وشعوره العميق بمسؤوليته تجاه الدعوة.

ولهذا فإنَّ من الصفات الأساسية هنا: ضرورة تقديم مصلحة الدعوة على المصلحة الشخصيَّة؛ لأنَّ الأولى أصيلة وممتدَّة وثابتة، والثانية غالباً ما تكون عَارضة أو موهومة... وإن كان مثل هذا التقديم أصلاً لا يمكن تجاوزه بحال.

يُضاف إلى ذلك: ضرورة تحلي الفرد بالموضوعيَّة والأمانة العلميَّة، هذه الصفة التي تعكس لوناً من ألوان ذلك التقديم لمصلحة الدعوة، إلى جانب ما تُوحي به من الثقة عند الأخ وعند الناس على حد سَواء.

وأخيراً فإنَّ فاعلية الأخ وإيجابيته في هذا المجال لا تتجلى في شيء كما تتجلى في روح التفاؤل التي يَنبغي أن تَشيع في نفسه، وتطبع مواقِفَه وأعمالَه، ونعني بالتفاؤل هنا: القدرة على العمل والحركة، أو على الاستمرار بها ضمن ظواهر اليأس المحدق، وعدم تثبيط الهمم، بل مخاطبة الناس بوحيٍ من الأمل وعدم اليأس.



**وخلاصة القول:** أنَّ القاعدة الذهبية في التعامل مع الناس تكمن في حرص الفرد على أن لا يضع بين الحق وبين الناس عقباتٍ وعَراقيل كان بإمكانه أن يَتَفاداها فيقلِّل بذلك من تحسُّس الناس وإثارة مشاعرهم.

وإنَّ خير ما نستطيع أن نتملَّى من خلاله هذه القاعدة الذهبيَّة قول الله تعالى في وجوب العدل مع المشركين: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة:٨]. إنَّ المشرك الذي تخلَّى عن أهمِّ ما يُميِّز إنسانيَّته من الفكر والنظر والاعتبار- وإن كان لا يستحقُّ أيَّ احترام، وكان كذلك يمثِّل الرجس والنجس كما نصَّ عليه القرآن الكريم- من واجب المؤمن الواعي أن يَحْرص على أن يَبقي طريق عودةِ هذا المشرك وأمثاله من الضَّالِّين مَفْتوحاً ليس فيه أي عَقَبة تحجزه عن الالتحاق بركب الإيمان متى أراد.

وإنَّ الظلمَ والحَيْف يقع على المشرك يُقيم من العداوات الشخصيَّة والحواجز النفسيَّة ما يَصعب معه أن يترك دينَه ويقلع عن ضلالاته، ويلتحق بركبِ الإيمان ولو تَوصَّل إلى القناعة الذهنيَّة والاطمئنان العقلي.

إنَّ العدلَ الذي رفع لواءه الفاتحون المسلمون من الجيل الأول هو الذي ساهم في نشر الإسلام في الأرض وفتح له القلوب، وهو الذي جعل أهلَ حمص يقولون عن رضى وقناعة: (لأنتم أحب إلينا من الروم ولو كانوا على ديننا)!.

ولقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّم أصحابه مُراعاة مشاعر الناس وعدم إيحاشهم وتنفيرهم حتى يقبلوا على هذا الدين لا يَصُدُّهم عنه شيء كان من الممكن تفاديه.

فعند فتح مكة وبعد أن أسلمت أم حكيم بنت الحارث، استأمنت النبي صلى الله عليه وسلم لزوجها عكرمة بن أبي جهل فأمَّنَه، وانطلقت على إثره حتى عادت معه إلى مكة، ولما دَنَا عكرمة من مكَّة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: يأتيكم عِكرمةُ بن أبي جهل مؤمناً مُهَاجراً فلا تسبُّوا أباه، فإنَّ سبَّ الميت يُؤذي الحي ولا يبلغ الميت. [أخرجه الحاكمُ في مُستدركه].

وكذلك بعد أن استأمن عبد الله بن سهيل لأبيه سهيل بن عمرو بعد فتح مكة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ حَوْلَهُ: «مَنْ لَقِيَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فَلَا يَشُدَّ إِلَيْهِ(أي: النظر)، فَلَعَمْرِي إِنَّ سُهَيْلًا لَهُ عَقْلٌ وَشَرَفٌ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهِلَ الْإِسْلَامَ» [أخرجه الحاكم في مُستدركه].

إنَّ مثل هذه الإشارات دَلالة واضحة على وجوب حرص المسلم على أن لا يكون سبباً في صدِّ الناس عن الحق نتيجة أي تصرُّف ولو كان كلمة أو نظرة!

إنَّ المؤمن- كما وَصَفه النبيُّ صلى الله عليه وسلم -:"هَيِّنٌ لَيِّنٌ يَألف ويُؤلف"، وإنَّ الإنسان لا يَصل إلى مَرْتبة يَألفه فيها الناس إلا عندما يكون هؤلاء في مأمن ممَّا يُثير مَشَاعرهم، وهم يَأنسون بصحبته في لين ورفق وهُدوء!

وقد قَالَ عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ: الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ". أخرجه الترمذي.

وفي رواية أخرى: قال عليه الصلاة والسلام: (خياركم أحسنكم أخلاقاً، الموطَّؤون أكنافاً، الذين يألفون ويُؤْلفون).

وروى الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ». قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ".

وبعد:

فإنَّ هذا الذي ذكرناه عن آداب العمل الجماعي وشروطه لا يعني أكثر من التنبيه على أهمِّ الشروط والمعاني التي يَجب على الفرد أن يَتَأمَّلها بعمق ويَتَفاعل معها بإيجابيَّة حتى يكون فَعَّالاً مُتحرِّكاً في جميعِ ظُروف العمل وأحواله المُختلفة، ودون أن يؤثِّر ذلك على رَهَافَةِ حسِّه نحو مُلاحظة الخطأ، وإبداء الصحيح، مُحتفظاً بوعيه لأهداف اشتراكه في العمل الجماعي بحيث يختار أخفَّ الضررين عندما ينطلق للعمل بخطَّة يَرَى فيها بعضَ الخطأ والقصور إن أدَّى إلى وقوعه في خطأ أكبر، والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ» ". قال الهيثمي في المجمع: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّ الْعَلَاءَ بْنَ زِيَادٍ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ مُعَاذٍ.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

**وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.**

المصدر: (مجلة حضارة الإسلام) (العددان ٨-٩)، (شوال- ذو القعدة ١٣٩٨هـ الموافق تشرين أول – تشرين ثاني ١٩٧٨م، من السنة التاسعة عشرة).